

ملخص

بدأت الدولة العبيدية في محاولة منها لتأسيس فضاء معرفي علمي على جملة من أسس النهضة الثقافية والعلمية، وهذا منذ الوهلة الأولى لتأسيس كيانها بالمغرب الإسلامي، بالرغم من اتسام الفترة التي أمضتها هذه الدولة في حكم بلاد المغرب بالتقلب وعدم الاستقرار في الكثير من الأحيان، إلا أنها بزغت من خلالها فترات صفاء وهدوء من خلال حكمة أمرائها وحبهم للعلم والعلماء وسعيهم الحثيث في التأصيل لدوافع النهضة العلمية والثقافية، وهذا من خلال بناء حواضر علمية استقطبت من خلالها أعلام الفكر والثقافة والعلوم المختلفة، ولعل أبرزها حاضرة المسيلة في المغرب الأوسط، التي نشأت فيها حياة ثقافية فكرية نمت على وجه رائع رغم جدتها، فكانت بحق قبلة العلماء ومهوى أفئدة الشعراء، كابن هانئ الأندلسي، ومنشأ عظماء الأدب، كابن رشيق والنهشلي، وكبار فقهاء المذهب المالكي، كالدودي... وغيرهم.

كان المغرب الأوسط أول محطة لظهور الدعوة الإسماعيلية الشيعية « وهذا حوالي سنة (279هـ) بواسطة الدعاة المنبئين في المناطق المتعددة، وأول ظهور لهم كان بناحية قسنطينة -سوق حمار- ما بين أرض (مجانة و سبيبة) ⁽¹⁾ ». ثم ظهر بكتامة "أبو عبد الله الشيعي"، الذي استمال بذكائه ودهائه قبيلة "كتامة" التي برجالها وسيوفها قامت الدعوة العبيدية، « وعلى أرضها أسست أول مدينة عبيدية (بجبل إيكجان) بنواحي "فج مزالة" -قرب "سطيف"- وسماها "دار الهجرة" ومنها زحف إلى "ميلة" سنة (290هـ)، ثم عرج على نواحي "سطيف" وفتح "طبنة" سنة (293هـ) وضواحي "قسنطينة"، وفي شعبان (294هـ) خرج من "طبنة" قاصدا "بلزمة" فاستولى عليها وعلى "باغاية" ⁽³⁾ ومنها توجه إلى "مسكاينة" -بأم البواقي- و"تبسه"، وهناك جاءته وفود من أهالي "سطيف" مستأمنة فأمنها، لينطلق بجنوده مجددا مستوليا على الجهة الشرقية من الجزائر كلها، ومنها اندفع شرقا بجيش يقدر بمائتي ألف جندي قاصدا "تونس" وهناك قضى على ملك الأغالبة ودخل القيروان ومنها احتل "رقادة" في رجب (296هـ)، فكان ذلك أول عهد للعبيديين بحكم المغرب الأوسط ⁽⁴⁾ ».

ما إن استتب الأمر بالجهة الشرقية من المغرب حتى حولت الأنظار إلى الظفر بالجهة الغربية، « فجهز لها جيشا عرمرما بقيادة "عروبة بن يوسف الكتامي" فأتى على ملك بني رستم بتيهت وقضى بها على إمامة الخوارج لتكون أول عهد للجولات والصولات بين الفكرتين لاحقا وقد نصب على رأسها "مصالة بن حبوس المكناسي" ⁽⁵⁾ واستمر في حكمها له هو وعقبه ⁽⁶⁾ »، واستمر العبيديون في زحفهم على المنطقة الغربية حتى وصلوا إلى مدينة "وهران" ودخلوها على يد "أبي حميد اللهيصي"، بعد حصار طويل وكان ذلك في شعبان سنة 298 هـ ⁽⁷⁾ .

-القائم (بأمر الله) (322-334هـ/934/945 م) مؤسس حاضرة المسيلة:
كنيته أبو القاسم بن عبيد الله، «ولد بسلامية وبويع يوم مات أبوه عبيد الله، وعمره إذ ذاك اثنتان و أربعون سنة»⁽⁸⁾، عهد إليه والده في حياته، وسماه ولي عهد المسلمين. وكان يظهر السرور به إذ رآه ويتمثل كثيرا إذا طلع عليه فيقول شعرا:
مُبَارَكُ الطَّلَعَةِ مَيِّمُونُهَا ❖ يَصْلُحُ لِلدُّنْيَا وَالْدِّينِ⁽⁹⁾.
و القائم كغيره من الملوك العبيديين، ينقم على السنيين حتى أنه أمر بلعن الصحابة-رضوان الله عنهم-، وقيل أنه أمر بتكذيب كتاب الله .
كما اتصف عهد القائم في مجال السياسة الداخلية بالشدة والصرامة، واعتبر أكثر شرا من المهدي. وقد أثار غضب المغاربة، وخاصة "الخوارج" منهم الذين ثاروا على العبيديين، وكانت أشد هذه الثورات خطرا وأشدّها بلاء تلك الثورة التي أشعل نارها أبو يزيد مخلص بن كيداد⁽¹⁰⁾ في سنة (322هـ). والتي استمرت طوال عهد القائم ولم تخمد إلا في عهد ابنه "المنصور"، ومما قام به في مجال السياسة الخارجية شنه حملات عسكرية ضد الروم «ففي سنة 323هـ سير حملة بحرية فتحت مدينة جنوه-على الساحل الجنوبي لإيطاليا-، وافتتح مدائن الروم، وغزاهم بناحية الأندلس»⁽¹²⁾. «وفي شهر رمضان من سنة (334هـ). ولي القائم ابنه اسماعيل ولاية عهده. وفوض إليه أمره وأدخل جماعة من وجهاء "كتامة" وقال لهم: مولاكم وهو ولي عهدي، والخليفة من بعدي، وهو صاحب هذا الفاسق وقتله يعني -أبا يزيد-»⁽¹³⁾. ويتضح من هذا الأمر أن القائم لقي صعوبات في سياسته ولم يستطع التغلب على المعارضين.

« توفّي "محمد القائم" يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة 334هـ، حيث كانت مدة خلافته اثنا عشر سنة وسبعة أشهر، وعمره خمس وخمسون سنة، وسترت وفاته خوفا من ضعف عزائم جنده في قتال صاحب الحمار »⁽¹⁴⁾.
وقد اشتهر "القائم" بالشجاعة ورباطة الجأش وباستطاعته التأثير على سامعيه بفصاحته وبلاغته وقدرته على ارتجال الخطب، كما كان يقرض الشعر مبادرة، ويجيد فيه، فمن ذلك ما قاله وهو مقيم بأرض مصر:
طَرِبْتُ، وَكَمْ أَطَرَبْتُ إِلَى الْخَرْدِ الْعُرْبِ ❖ وَمَا الْهَزْلُ مِنْ شَأْنِي، وَلَا الْلَهْوُ لِي أَرَبًا
فِيَا مُعْرِضًا عَنِّي، وَلَيْسَ بِمُنْصِفِي ❖ وَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ الْمُبِينُ لِمَنْ رَغِبَ⁽¹⁵⁾
كما أنشأ "بوادي صلاف" قرب "تاهرت" في شهر ربيع الأول سنة (316هـ) قصيدته التي يقول في مطلعها:

سَلَامٌ عَلَى آلِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ ❖ وَشَبَعَتِهِ أَهْلُ النَّهْيِ وَالْفَضَائِلِ
تَحِيَّةٌ مِّنْ أَمْسَى بِتَاهَرْتِ قَائِمًا ❖ بِحَقِّهِمْ بَيْنَ الْمَلَأِ وَالْقَبَائِلِ⁽¹⁶⁾
ويمكن القول أن عهده كان مليئا بالفتن الداخلية، نتيجة سوء سياسته من جهة وتلك الرواسب المستفحلة منذ عهد المهدي لكنه تمكن بكل صرامة أن يخمدتها بكل ما أوتي من قوة غير أنها تركت طابعها السيئ، وكلفت ابنه عناء ومشاق كبيرة، لم يتغلب عليها إلا بشق الأنفس وجهود مضنية وتضحيات جسيمة.
-المسيلة عند خروج العبيديين :

لما عزم المعز على الانتقال إلى مصر استدعى إليه "جعفر بن علي بن حمدون" (17) أمير المسيلة ليستخلفه على المغرب، لما قدمه هو وأبوه من أعمال جليلة للخلافة العبيدية منذ نشأتها الأولى، لكن جعفرا وضع شروطا لهذا الاستخلاف مما جعل المعز يستغني عنه. ويستخلف "يوسف بن زيري الصنهاجي" بقوله: « تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال: يا مولانا: أنت وأباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفوا لي وأنا صنهاجي بربري قتلتنني يا مولاي بلا سيف ولا رمح » (18).

ولم يزل به حتى أجاب وقال: « يا مولانا: بشريطة أن تولي القضاء والخراج لمن تراه وتختاره والخبر لمن تثق به وتجعلني أنا قائما بين أيديهم فمن استعصى عليهم أمروني به حتى أعمل فيه ما يجب ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك » (19). فحسن هذا من المعز وشكره فلما انصرف قال له عم أبيه "أبو طالب أحمد بن المهدي عبيد الله" يا مولانا: « وتثق بهذا القول من يوسف أنه يفي بما ذكره فقال المعز: يا عمنا: كم بين قول يوسف وقول جعفر واعلم يا عم أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف فإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر ولكن هذا أولى وأحسن وأجود عند ذوي العقل وهو نهاية ما يفعله من يترك دياره » (20).

ويمكن القول أن "جعفر بن حمدون" قد أضاع فرصة ذهبية لرقى المسيلة وتطورها، ولما لا أن تصبح عاصمة للمغرب الإسلامي، وتزدهر وترتقي إلى عاصمة ثقافية علمية.

وفارق بهذا "المعز" "يوسف" متوجها إلى "مصر" وكان ذلك على هذا النحو: « في يوم الاثنين لثمان من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة دخل المعز لدين الله إفريقية، ثم دخل طرابلس في ربيع الأول من سنة 362 هـ ليرحل عنها في ربيع الثاني. ووصل إلى سرت في اليوم الرابع من جمادى الأولى، ورحل عنها ونزل بقصره الذي بني له في "إجدابية". ثم رحل عنها ونزل بقصره المعروف بالمعزية - ما يعرف بالعزيات اليوم في الجبل الأخضر - » (21).

- حاضرة المسيلة (المحمدية) (315 هـ - 929 م) :

للعبيديين نشاطات وإنجازات في مختلف المجالات، من إدارية وعسكرية وسياسية، ومذهبية، ولهم أيضا نشاطات وإنجازات في ميدان البناء والتعمير، ولكن منشأتهم العمرانية كانت هي الأخرى متأثرة بسياساتهم العامة حيث أنشئوها لخدمة أغراضهم السياسية والعسكرية بالدرجة الأولى، وهذا لا يعني اقتصرها على هذه الجوانب فقط بل تتعدى إلى الجانب الثقافي، الذي من خلاله ينشرون دعوتهم وأفكارهم ويلبون رغباتهم العلمية والثقافية وهذا كله لخدمة مصالح دولتهم وتمكينها وتقوية نفوذها. وأهم هذه المدن ما يلي:

وقع اختلاف بين المؤرخين في تحديد تاريخ إنشاء مدينة المسيلة فهناك من ذكر بأن الشروع في إنشائها كان سنة (313 هـ - 927 م) (22) ومن قال بهذا الرأي لم يذكر المناسبة التي أنشئت فيها. ولكن ذهب البعض الآخر إلى القول بأن تاريخ إنشائها « يعود إلى سنة (315 هـ - 929 م) ، وذلك حينما توجه "القائم" على رأس حملة عسكرية لإخماد ثورة بالمغرب الأقصى. وأثناء رجوعه أمر بإنشائها، حيث خط برمحه في الأرض صفة بنائها وهو راكب على فرسه وسماها المحمدية نسبة إليه،

لأن اسمه محمد، مثل ما نسب "عبيد الله المهدي" مدينة المهديّة إليه»⁽²³⁾. وإذا ما اختلفت الآراء بين الباحثين في تاريخ إنشاء "المسيلة" فإنها اتفقت على أن الذي تولى بناءها هو: "علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي"، الذي خرج مع "القائم" في حملته العسكرية المذكورة إلى المغرب فكلفه ببناءها. ولما انتهت الأشغال منها سنة (317هـ/931م) جعله واليا عليها فبقي وفيها مخلصا للعبيديين، إلى أن هلك في ثورة "صاحب الحمار"، سنة (334هـ - 948 م) فقتلها بعده ابنه "جعفر" واليا عليها⁽²⁴⁾.

لقد بنيت المسيلة للأغراض استراتيجية عسكرية بالدرجة الأولى. وكان الحافز الذي حفز "أبا القاسم" على إنشائها هو أنه لمس أثناء قتاله لزناته مدى قوتها وصلابتها. قد نوهت كثير من المصادر بحصانة المسيلة «-ارتفاعها عن سطح البحر ب (470مترا) شمال شط الحضنة

كما امتازت بخصوصية أراضيها وبوجود واد يجري فيه نهر كثير الماء ولذا كثر غلتها وتنوعت وزادت على كفاية أهلها، وعلى هذا فإن "أبا القاسم" اختار مكان بناءها لسببين لموقعها الجغرافي الهام من جهة ولخصوبتها من جهة أخرى. ولما تم بناءها انتقل مركز الثقل إليها من مدينة "طبنّة"⁽²⁵⁾ عاصمة الزاب وأصبحت هي العاصمة السياسية والإدارية والمركز الحضاري للمنطقة الممتدة ما بين "باغاية" شرقا، و"تيهرت" غربا. وازدهرت أوضاعها من مختلف الجوانب»⁽²⁶⁾. وقصدها العلماء والأدباء والشعراء من مختلف أنحاء المغرب وخارجه، منهم "محمد بن هاني الأندلسي المسيلي" الذي مدح كلا من "جعفر بن علي بن الأندلسي"، و"جعفر بن فلاح الكتامي"، و"المعز لدين الله العبيدي"، وبذلك ساهمت هذه الحاضرة في إنعاش مختلف وسائل الحضارة بالمغرب الأوسط في هذا العهد، ولقد شهد "ابن هاني" ازدهار المدينة وكل إقليم الزاب وشبهها ببيغداد عاصمة الخلافة في قوله:

وَرَأَيْتُ حَوْلِي وَفِدَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ❖ حَتَّى تَوَهَّيْتُ الْعِرَاقَ الزَّابَا
أَرْضًا وَطَبَّتِ الدَّرَّ رَضْرَاضًا بِهَا ❖ وَالْمَسْكُ ثَرِيًّا وَالرِّيَاضُ جَنَابَا
وَسَمِعْتُ فِيهَا كُلَّ خُطْبَةٍ فَيَصِلُ ❖ حَتَّى ظَنَنْتُ مُلُوكَهَا أَعْرَابَا⁽²⁷⁾
ويصور ازدحام الزائرين على باب الأمير بصورة تشبيهية رائعة حيث يقول:
أَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَيْكَ كَأَنَّمَا ❖ مِنَ الزَّابِ بَعَثَ أَوْ مِنَ الزَّابِ مُحْشَرٌ⁽²⁸⁾.

ولما تم بناء المسيلة انتقل مركز الثقل إليها من مدينة "طبنّة"، وأصبحت هي العاصمة السياسية، والإدارية، والمركز التجاري والحضاري للمنطقة الممتدة ما بين باغاية شرقا، و"تيهرت" غربا فانتقل إليها كثير من سكان المناطق المجاورة إليها واتسع عمرانها وراجت تجارتها وتنوعت وازدهرت. وتمتعت بذلك بقسط وافر من وسائل الحضارة والمدنية، وبذلك ساهمت في إنعاش مختلف وسائل الحضارة بالمغرب الأوسط، وبقيت تتمتع بمكانة مرموقة بين مختلف مدن المغرب الهامة.

- صور الحياة الفكرية والثقافية بحاضرة المسيلة:

إذا ابتعدنا قليلا عن المذهبية الفكرية وقمنا بانزياح إلى الجانب الأدبي وربطناه بواقعهم الحضاري، نجد أن أمراء بني عبيد كانوا أهل علم وثقافة فكانوا يولون كبير الاهتمام برجال الأدب والشعر والفقه...، وكانوا يستدعون الشعراء والأدباء

إلى بلاطهم في المناسبات المختلفة، لذلك نجد "القائم" اقتفى آثار والده واستطاع أن يؤثر في نفوس سامعيه بفصاحته وبلاغته وقدرته على ارتجال الخطب، وكان "المنصور" أيضا فصيحاً بليغاً حادّ الذهن سريع الجواب جيد الحس. أما "المعرّ" فهو أعظم أمراء العبيديين قدراً وأجلهم خطراً، بعيد الصيت عظيم الجبروت، يجيد عدة لغات، مولع بالعلوم وذا دراية بالأدب يناظر العلماء ويكرمهم.

كان العبيديون أصحاب دعوة ومذهب يريدون نشره بين جميع طبقات الشعب، راحوا يستخدمون أشكال النشر لبث دعوتهم، وهم في مكانتهم لاشك أنهم استخدموا طاقاتهم القصوى للوصول إلى مبتغاهم ولولا هذا لما استطاعوا أن يخلفوا لنا خطباً بليغة، ولما ناظروا كبار العلماء والفقهاء في شتى المواضيع، وما استطاع "المعرّ" أن يدلي بملاحظات القيمة ومراجعته لكل ما يؤلف ويكتب "القاضي النعمان".

وإذا انتقلنا إلى ولاية الأقاليم نجدهم لا يقلون ذوقاً فنياً عن أمرائهم، ونتوقف هنا عند والي وصاحب المسيلة (جعفر بن علي) المعروف بابن الأندلسي وأمير "الزاب" وقد قال عنه "ابن خلكان": «كان سمحاً كثير العطاء مؤثراً لأهل العلم»⁽²⁹⁾.

وقد مدحه الكثير من الأدباء والشعراء، وكان أبرزهم الشاعر العظيم "ابن هاني" فمدحه بقصائد بليغة منها قوله :

خَلِيلِيَّ أَيْنَ الزَّابِ مِنَّا وَجَعْفَرُ ❖ وَجَنَّةُ عَدْنٍ بَتُّ عَيْتِهَا وَكَوْثَرُ
فَقَبْلِي نَأَى عَنِ جَنَّةِ الْخَلْدِ أَدَمُ ❖ فَمَا رَاقَهُ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ مُنْظَرُ
خَلِيلِيَّ مَا الْأَيَّامُ إِلَّا بِجَعْفَرٍ ❖ وَمَا النَّاسُ إِلَّا بِجَعْفَرٍ، دَامَ جَعْفَرُ⁽³⁰⁾

-من أعلام المسيلة في العهد العبيدي :

نشطت الساحة العلمية والفكرية بالمسيلة في العهد العبيدي وفي القرن الرابع الهجري عموماً، في مختلف العلوم، خاصة الفقه المالكي من حيث التدريس والتأليف فيه، والأدب وغيرها من العلوم والفنون، ومن علماء هذا العهد نذكر :

- الشيخ أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي (ت402هـ)⁽³¹⁾ : كان إماماً فقيهاً محدثاً، مؤلفاً، له حظ من علوم اللسان، وقف ضد الشيعة العبيديين وكفر كل من يدعو لهم على المنابر، أخذ عنه كلا من : أبو بكر بن أبي زيد القيرواني، وأبو عبد الله البوني، من تآليفه : شرح الموطأ، الواعي في الفقه، النصيحة في شرح البخاري، كتاب في تفسير القرآن اعتمد عليه "عبد الرحمن الثعالبي" في تفسيره الجواهر الحسان، وله أيضاً الأصول... وغيرها، توفّي بتلمسان سنة "402هـ".

- أحمد بن خلوف المسيلي (ت393هـ)⁽³²⁾ : يكنى أبا جعفر، يعرف بالخياط، كان فقيهاً عالماً بالمسائل حافظاً لمذهب مالك، حسن التكلم في الفقه، سكن الثغر بالأندلس أعواماً كثيرة مجاهداً و كان منسوباً إلى البأس، استقر بقرطبة وبها توفّي سنة 393هـ.

- أبو علي المسيلي (حسين بن محمد بن سلمون ت431هـ)⁽³³⁾ : فقيه مالكي، كما له اهتمامات أخرى بعلوم عصره، ولد ونشأ بالمسيلة، ثم رحل إلى الأندلس فولاه "سليمان بن الحكم" الشوري بقرطبة، وتوفّي بها.

- جعفر بن علي بن حمدون⁽³⁴⁾ : أمير "المسيلة" وإقليم الزاب أبوه "علي بن حمدون الأندلسي" الذي قصده "ابن هاني" إثر نزوحه من "إشبيلية" فاحتفيا به وبالغا في إكرامه شأنهما مع باقي الأدباء والشعراء، وقد مدح جعفر بقصائد غرر من ذلك قوله:

هَذَا الَّذِي قَدْ جَلَّ عَنْ أَسْمَائِهِ ❖ حَتَّى حَسِبْنَاهَا لَهُ أَلْقَابَا

مَنْ لَيْسَ يَرْضَى أَنْ يُسَمَّى جَعْفَرًا ❖ حَتَّى يُسَمَّى جَعْفَرًا الْوَهَّابًا
مات "جعفر" مقتولا بالأندلس حين فراره إليها من خصمه "زيري بن مناد" وكان ذلك سنة (364هـ).

-ابن هانئ المسيلي القيرواني⁽³⁵⁾ : شاعر ابن شاعر ولد باشبيلية سنة (320هـ) قضى الشاعر صدرا من شبابه بالأندلس أيام الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر وابنه الحكم ، واتهم بميوله الفلسفية وبتهيبته للمذهب الشيعي الإسماعيلي ، فاضطر التوجه نحو المغرب واستقر فترة عند "علي بن حمدون" حاكم المسيلة ومن بعده ابنه جعفر حتى استدعي إلى بلاط المعز آخر أمراء بني عبيد بالمغرب وهناك أخذ يمدح المعز بقصائده الرائعة التي سجل في معظمها نظريات الطائفة الإسماعيلية في العقيدة والمذهب وتوفي مغتالا حسب الكثير من الروايات ببرقة وهو متوجها إلى مصر ليلتحق بالمعز هناك ، وكان ذلك سنة (362هـ).

-عبد الكريم النهشلي⁽³⁶⁾ : هو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ، ولد في المسيلة (المحمدية) ممن بلاد الزاب، ونشأ فيها وانتقل إلى القيروان في أيام المعز لدين الله العبيدي (341-365 هـ) ولقي فيها الشاعر "ابن هانئ" و الشاعر "علي الأيادي" وغيرهما

ويبدو أن النهشلي دخل في خدمة بني زيري الصنهاجيين ، منذ أوائل عهدهم بخلع دعوة الفاطميين واستبدادهم في المغرب، فكان كاتباً لهم في ديوان الرسائل ثم نال عندهم حظوة و صحبهم في خروجهم في المغرب الأوسط و المغرب الأدنى ، وكان ينادمهم أيضا ، وقد صحب منهم منصور ابن بلكين (373-386هـ) وابنه باديس (386-406هـ) وكانت وفاة النهشلي في المهديّة سنة (405هـ).

وكان النهشلي عالما في اللغة عارفا بأيام العرب وأشعارهم ، كاتباً مترسلا وأديبا ناقدا قديرا وشاعرا محسنا ، قيل يجيد القصائد الطوال ولا يكاد يصنع مقطوعا ، ولكنه لعله لم يجاوز في شعره خمس قطع .

و له كتاب الممتع في علم الشعر وعمله وفي النقد على نمط كتاب الشعر لقدامة بن جعفر و كتاب الصناعتين لأبي الهلال العسكري ، وعلى كتاب الممتع اعتمد ابن رشيق في كتابه العمدة في صناعة الشعر ونقده.

-ابن رشيق المسيلي القيرواني⁽³⁷⁾ : كان رشيق مملوكا روميا من موالى الأزد ومن أهل مدينة المسيلة (المحمدية) في المغرب الأوسط (الجزائر) وكانت صنعته الصياغة، وفي المحمدية ولد ابنه الحسن سنة 390 هـ (1000 م) أو قبل ذلك بقليل، فتعلم صنعة أبيه وتآدب قليلا. وفي سنة 406 هـ (1016 م) انتقل "الحسن بن رشيق" إلى القيروان ودرس على جماعة من أدباؤها وعلمائها، وكان منهم "عبد الكريم النهشلي" (وابن رشيق كثير الإستشهاد بأرائه في كتاب "العمدة" ، ومنهم أيضا "القزاز القيرواني" (ت 412م). واشتهر ابن رشيق في القيروان واتصل بصاحبها الأمير "معز بن باديس" منذ سنة 410 هـ، فحظي عنده وأصبح من بطانته وأهل دولته. وانتهى به أخيرا إلى الهجرة نحو (صقلية) فارا في أثر صديقه الشاعر الناقد (ابن شرف).

انتقل ابن رشيق إلى جزيرة صقلية ونزل في مازر (على الساحل الجنوبي الغربي) وبقي فيها إلى أن أدركته الوفاة في غرة ذي الحجة من سنة 456 هـ)

1064/11/14 م). ومن آثاره: "كتاب العمدة، كتاب الأنموذج (في شعراء القبروان المعاصرين له)، قراضة الذهب في نقد أشعار العرب، كتاب الغرائب والشواذ في اللغة.

وله عدد من الرسائل يرد فيها على مواطنه ومعاصره ومنافسه ابن شرف القبرواني منها فوات الوفيات، رسالة ساجور الكلب -رسالة قطع الأنفاس- رسالة نجح الطلب - رسالة رفع الإشكال ودفع المحال -فسخ الملح ونسخ الملح- ميزان العمل في أيام الدول.

-المسيلي: عمران بن سليمان بن محمد بن عمران التميمي الدارمي المسيلي⁽³⁸⁾ نشأ بالمسيلة و تأدب بالمنصورية، كان شاعرا مطبوعا، سريع الصنعة، جسورا على الكلام والمعاني الأبيكار من غير براعة في العلم كما وصفه ابن رشتيق في الأنموذج، توفي سنة 415هـ ولم يبلغ الثلاثين، ومن شعره: "مجزوء الكامل"، قوله:

وإذا تبسم خلتنا رَأُ أو سنا برق أناراً
ظبي من ابتاء الأكابر والملوك من النصاري

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن مظاهر الحياة الثقافية، والفكرية بالمغرب الإسلامي في ظل الوحدة السياسية التي أتاحت له ولأول مرة في التاريخ من قبل العبيديين ورغم الصراع الدامي الذي عاشته المنطقة، إلا أنه في مجمله صب في بوتقة ما يمكن تسميته بالحركة الأدبية النثرية في شقها الذي نبحت فيه، وقد خدم الأدب ولو بصورة غير مباشرة، خاصة ما تعلق بالخطب والمناظرات والرسائل. ولا ننسى أن نعطي صورة موجزة عن أهم مراكز الثقافة فهل هي جديرة بهذه التسمية.

الإحالات والهوامش:

1- الإدريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق محمد حاج صادق، المكتبة الجامعية، الجزائر، ط، 1983م، ص 156-158.

2- المقرئزي، اعجاز الحنفاء، ج 1، تحقيق: جمال الدين الشيبان، طبع دار التحرير، القاهرة، د ط، 1962، ص 52.

3- باغاية (باغاي): مدينة تقع بين مسكيانة و تمقاد كما ذكر ابن حماد: المصدر السابق، ص 35. وهي اليوم من ولاية خنشلة (ينظر: الإدريسي: المصدر السابق، ص 137-138).

4- ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984، ص 21.

5- مصالحة بن حبوس المكناسي: قائد جيوش عبيد الله وحاكم تيهرت، والمغرب الأوسط. (ينظر: ابن حماد: المصدر السابق، ص 24. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980، ص 239).

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، نشر دار صادر بيروت، م8، د ط، 1979، ص 151. (ينظر: ابن حماد: المصدر السابق، ص 23-26).

⁷ - نفسه، ص 154.

⁸ - ابن حماد: المصدر السابق، ص 29. (ينظر التفاصيل: القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، د ت، ص 331-335).

⁹ - القاضي النعمان: نفسه، ص 324.

¹⁰ - مخلد بن كيداد الخارجي (صاحب الحمار) (ت 336) هو "أبو يزيد مخلد بن كيداد" الزناتي وكان يقتصر على ركوب حمار أشهب، أهدى إليه من "مرمجة" ولذلك كان يدعى صاحب الحمار. كان على مذهب الخوارج، ينسب إليه تكفير أهل السنة. قام نائرا في وجه العبيديين فهدم وخرب واركتب من الجرائم ما يندى له الجبين، واجتمع عليه الناس و تبعه في بادئ الأمر كثير من البربر، وقتل قاده ثم قبض عليه "المنصور"، وقام بقتله وسلخه وكان هذا سنة 336 هـ. (ينظر

القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص 162. ابن حماد: المرجع السابق، ص 25-44).

¹¹ - ابن حماد: المصدر السابق، ص 29-32.

¹² - ابن الأثير: المصدر السابق، ص 249. (ينظر أيضا: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 333).

¹³ - محمد الصالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983 م، ص 90

¹⁴ - ابن حماد: المصدر السابق، ص 32. (ينظر أيضا: القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 335-334).

¹⁵ - محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1986 م، ص 81. (ينظر التفاصيل: محمد اليعلاوي: نفسه، ص 85).

¹⁶ - محمد اليعلاوي: المرجع السابق، ص 95.

¹⁷ - علي بن حمدون بن سماك الجذامي المعروف بابن الأندلسي: والده حمدون يمئني الأصل استقر مدة بالأندلس، ثم انتقل إلى بجاية القريبة من بلاد كتامة، كان على اتصال وثيق بالدعوة العبيدية، خدم علي القائم وأسس معه مدينة المحمدية وأصبح واليا عليها حتى قتل سنة 334 هـ في ثورة صاحب الحمار، فخلفه ابنه جعفر يساعده على شؤونها أخوه يحيى. (ينظر: محمد اليعلاوي: ابن هاني المغربي الأندلسي - شاعر الدولة الفاطمية - دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1985 م، ص 86-87. ابن حماد: المصدر السابق، ص 36-37 وهامش ص 48).

¹⁸ - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8، ص 620. (ينظر: المقرئ: المصدر السابق، ج 1، ص 42).

¹⁹ - المقرئ: نفسه، ص 43. (ينظر: الدولة الصنهاجية: حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1983 م، ص 105).

²⁰ - ابن حماد: المصدر السابق، ص 53.

²¹ - محمد الصلابي: الدولة العبيدية في ليبيا، دار البيارق، عمان، الأردن، ط 1، 1418 هـ، ص 82.

²² - ابن حماد: المصدر السابق، ص 30.

²³ - نفسه، ص 30.

²⁴ - محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 86-87.

²⁵ - طُبْنَة: مدينة اندثرت تبدو خرائبها للرائي على ثلاثة أميال جنوبي "بريكة" وشرقي الحضنة بين "وادي بريكة" في الشمال ووادي "بيشم" في الجنوب وكانت مقر حكم الولاة بنيت على أنقاض مدينة قديمة تدعى "تبوني" يعلو ممر مرتفع عليه من بعيد استغله "أبو عبد الله الشيعي" عندما صمم في احتلال المدينة وكان ذلك سنة 293 هـ وقد كانت مدينة كبيرة وعاصمة لإقليم الزاب. (ينظر هامش: ابن حماد: المصدر السابق، ص 36).

²⁶ - الإدريسي: المصدر السابق، ص 108.

²⁷ - محمد اليعلاوي: ديوان محمد بن هاني الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1994م، ص 50.

²⁸ - نفسه، ص 177.

²⁹ - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 240.

³⁰ - محمد اليعلاوي: ديوان محمد بن هاني الأندلسي، ص 172.

³¹ - رايح بونار: المرجع السابق، ص 185.

³² - نفسه، ص 185.

³³ - عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية فيما بين القرنين (14/3 هـ)، د م ج الجزائر، د ط، 1995 م، ص 19.

³⁴ - محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 275. (ينظر أيضا: محمد اليعلاوي: ديوان محمد ابن هاني الأندلسي، ص 49. ابن حماد: المصدر السابق، ص 48).

³⁵ - محمد اليعلاوي: ابن هاني المغربي الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية، ص 83 و ما بعدها. (ينظر أيضا: محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، ص 267-335. محمد اليعلاوي: ديوان محمد ابن هاني الأندلسي، ص 12).

³⁶ - عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي - الأدب في المغرب و الأندلس إلى أواخر عصور الطوائف، ج 4، دار العلم للملايين، 1984، ص 342-345.

³⁷ - ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع و تحقيق: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص (5-9).

³⁸ - نفسه، ص 311-313.

قائمة المصادر والمراجع:

¹ - الإدريسي: المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق محمد حاج صادق، المكتبة الجامعية، الجزائر، د ط، 1983.

² - ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 2، 1984.

³ - ابن رشيق: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمع و تحقيق: محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

⁴ - حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، ط 2، 1983.

- ⁵-عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980.
- ⁶-عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية فيما بين القرنين (14/3هـ)، د م ج الجزائر، د ط، 1995 م.
- ⁷-عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي- الأدب في المغرب و الأندلس إلى أواخر عصور الطوائف، ج4، دار العلم للملايين، 1984.
- ⁸-القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، د ت.
- ⁹-محمد الصالح مرمول: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1983.
- ¹⁰-محمد الصلابي: الدولة العبيدية في ليبيا، دار البيارق، عمان، الأردن، ط1، 1418 هـ.
- ¹¹-المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج 1، تحقيق: جمال الدين الشيال، طبع دار التحرير، القاهرة، د ط، 1962.
- ¹²-محمد اليعلاوي: الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.
- ¹³-محمد اليعلاوي: ابن هانئ المغربي الأندلسي - شاعر الدولة الفاطمية-، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1985.
- ¹⁴-محمد اليعلاوي: ديوان محمد بن هانئ الأندلسي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م، ص50.